

# القسم الرابع:

تمظهرات حوار الحضارات وعلاقة  
الأنا بالآخر في الرواية الجزائرية

obeikandi.com

## تظاهرات حوار الحضارات وعلاقة الأنا بالآخر في الرواية الجزائرية

قراءة في نص (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) لعمارة لخص

### - حوار الحضارات ضرورة إنسانية لا مجرد ترف فكري :

تبحث الإنسانية منذ فجر التاريخ عن السلام، ولكنها من حيث تدري، ومن حيث لا تدري تنتهك عديد محاولات بناء ذلك السلام. لأجل ذلك نعتقدها وصلت اليوم إلى هذه المرحلة الخطيرة، حيث الفتنة والقتل والحرب ينهش البشر في أماكن عدة من المعمورة، أما المناطق التي يعقدها جُلنا آمنة فهي الأخرى يتنهك ساكنها فراغ روعي رهيب، إنا اليوم أكثر من أي وقت مضى في أمسّ حاجة للتفكير في الوضع الإنساني بحثا عن سكينه تجمع البشر جميعا، وتتيح لهم فرصة إعمار الأرض تكاتفا وتسامحا، لا عداوة ونبذاً وقطيعة ورفضاً لكل من لا يشبهنا في اللغة، والعقيدة والعرق واللون والفكر.

استنادا إلى ما سبق نقول إنّ حوار الحضارات والتقريب " بين الأديان لم يعد بعد اليوم مسألة من اختصاص رجال الدين ... ولكنه لأول مرة في التاريخ ضرورة عاجلة بالنسبة إلى السياسة الدولية، فهو يستطيع أن يجعل أرضنا أكثر قابلية للسكن لأنها ستصبح أكثر هدوءا وإخاء<sup>1</sup>، إنّ المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، ومجمل فعاليات المجتمع المدني، وكلّ الحكومات وفي مختلف أقطار العالم مدعوون في ظلّ معيش البشر اليوم، إلى تجاوز الخلافات والتعالي عن المصالح الشخصية الضيقة لحماية المعمورة، ولن يتحقّق ذلك إلّا عن طريق ترسيخ الحوار ركيزة أساسا لحل النزاعات المحلية والإقليمية، لأننا اللحظة أمام خيار تاريخي فحواه إنا السلام في كلّ المعمورة أو إبادة المعمورة نفسها<sup>2</sup>، خاصة ونحن نحفظ بذكريات سوداء عن صراعات وحروب صيرت ملايين البشر أشلاء ورسّخت لدى البعض الكراهية والبغضاء وحب الانتقام. إنا نشوق إلى عالم يشيع فيه الصفاء، ويتغيّر فيه المعجم المفرداتي الدال على الصراع، لصالح الحوار والثقافة البناء، فالإنسانية تستحقّ وضعا أحسن من الذي

1 هانس كينغ : لا سلام عالمي دون سلام ديني، ترجمة : ثامر الغزي، مجلة نوافذ، النادي الأدبي-جدة/السعودية، العدد : 35، مارس 2006، ص121.

2 المرجع نفسه، ص117.

عاشته طيلة قرون خَلَّت وتعيشه اللحظة بطعم القهر نفسه، والحق أن الصفاء المنشود لا تؤدّي كلّ الطرق إليه، وحده الحوار يصنع السلام والطمأنينة.

يُقَدِّم حوار الحضارات والثقافات نفسه الآن بوصفه ضرورة، خاصة أن لا أحد يستطيع في ظلّ التطوّر التكنولوجي الذي جعل العالم قرية صغيرة أن يعزّل نفسه في هوية مغلقة<sup>1</sup>، ذلك أنه يظلّ دائما محتاجا للتفاعل مع الآخرين، لا لإفادتهم فقط إنما ليسهل عليه بناء ذاته وفق متطلبات العصر "لأنّ الانفتاح على الحضارات الأخرى والحوار معها يبيثُ الحيوية في مكونات الهوية فتناهى عن السجال ويحلّ التفاعل الخصب محلّ الانغلاق، والتأثر الشفاف والتفهم محلّ الكراهية"<sup>2</sup>، على اعتبار أن الجهل بالآخر وغياب قنوات التواصل الحوارية يخلق ولو بعد حين صراعا ما، في حين أن تقبّل وجود ثقافة أخرى بكلّ مكوناتها يؤدّي بالضرورة إلى تجنب كلّ أسباب الصراع.

ينبغي أن يُجسّد حوار الحضارات، وأن يستمرّ أولا لنفهم أفضل فأفضل الآخرين الذين يعاصروننا، أولئك الذين أصبحنا نعيش معهم جنبا إلى جنب، ولكن أيضا لنفهم أنفسنا أكثر، وهو فهم يمرّ بالضرورة عبر المقارنة والمواجهة، فمن لا يعرف إلا إنجلترا لا يعرف إلا إنجلترا، وأخيرا فإنّ الحوار بين الأديان [والثقافات] ليس مسألة خاصة أو شخصية أو محلية أو جهوية، وأبعاده الإجمالية بيّنة تماما كانعكاساته على الوجود المشترك وطنيا وعالميا بين الشعوب<sup>3</sup> هذا الوجود المشترك الذي يتآكل بفعل العنصرية ورفض الآخر.

## - حوار الحضارات بوصفه جلياً ثنائياً الأنا والآخر :

تتموّض ثنائية الأنا والآخر كمثل نسغ أساس، يحرك هيكل حوار الحضارات، سواء أكانت مظهرا من مظاهر الانقسام الذاتي في جسم المجتمع ... ككل على المستوى الديني أم كانت كذلك على المستوى العرقي، أم مظهرا من مظاهر التعارض مع الآخر الأجنبي الذي يتحدّى الذات بالقوة وبالعلم، فهي إشكالية مسؤولة إلى حدّ كبير عن نشوء الشعور بالخصوصية الذاتية، مع ما [يتبع] ذلك من تلوين النشاط

1 ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر، سلسلة عالم المعرفة رقم 398، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت د ط، مارس 2013، ص48.

2 ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر ، ص22.

3 هانس كينغ : لا سلام عالمي دون سلام ديني، ص 117، 116.

الثقافي بسمات مميزة تتفاوت من مكان لآخر<sup>1</sup> ومن مجتمع لآخر، وهي إلى ذلك تحرك آليا الرغبة في التعرف على مسارات تطوّر وعي الآخر بذاته وبالأنما المقابلة له بوصفها آخر ينبغي فهمه.

وفي عالمنا العربي تتجلى علاقة الأنا بالآخر في ملمحين هما الصدام والحوار، بمعنى أنّ الآخر ليس مرفوضا دائما كما أنّه لا يلاقي القبول في كلّ الأحوال، انطلاقا من الاختلافات البيئية في الانتماء والدين والفكر والعقيدة، وتُتضح إشكالية الأنا العربية الإسلامية والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية. أمّا علاقة الذات به من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها<sup>2</sup> لاعتبارات كثيرة أهمّها التأخر العربي في ركوب قاطرة التقدم العلمي لأسباب كثيرة أبرزها الصدام بين العرب والآخر المستعمر.

وذلك المستعمر لطالما ارتسم في أذهاننا تحت مسمى الغرب، ونعني به "ما استقر في الأذهان والخطابات السائدة في المجال التداولي العربي منذ بدايات القرن الماضي إلى اليوم، بخصوص هذا الآخر الحضاري الذي يمثل الحدّثة والتقدم والتقنية مثلما يجسد القوة والغلبة والسيطرة إذ يحاول فرض لغاته وأفكاره وقيمه ومصالحه على الذات العربية الإسلامية، وعلى غيرها من الذوات الحضارية"<sup>3</sup> في مختلف أقطار المعمورة انطلاقا من الحقيقة التاريخية المتعلقة بموجات الاستعمار واستغلال الشعوب، حيث لم ينل ذلك الاستعمار من حرية العرب والمسلمين طيلة قرون وحدهم. بل فعل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها. وبعض التيارات المترتبة المنتمية إلى ذلك الغرب تسعى اليوم جاهدة إلى استثمار النتائج المؤلمة لأحداث 11 سبتمبر بأمريكا، التي غدّت الحوار الصدامي أكثر من التواصل<sup>4</sup>، ولا أدلّ على ذلك من معيش البشرية جمعاء خلال هذه المرحلة، حيث يكاد يغيب صوت الحوار الحضاري لصالح عنجهية استعمارية

1 حميد لحيداني، الرواية المغاربية .. الهوية والتفاعل مع الآخر، ضمن مجموعة من الباحثين، الأدب المغاربي اليوم (قراءات مغربية)، منشورات إتحاد كتاب المغرب، ط1، 2006، ص21.

2 ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص17.

3 معجب الزهران، صورة الغرب في كتابة المرأة العربية، ضمن: مجموعة من المؤلفين: أفق التحولات في الرواية العربية، دار الفنون - عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار الفارس - عمان، ط1، 1999، ص55.

4 عبد الرحمن التمار، سردية التفاعل الحضاري في رواية من يبكي النورس لزهرة المنصوري، مجلة آفاق، إتحاد كتاب المغرب، العدد: 80/79، ديسمبر 2010، ص214.

جديدة تدعمها تيارات متشدّدة هنا وهناك، ناهيك عن رغبة أطراف بعينها استثمار الصدام بين الشعوب لتحقيق المزيد من الإنجازات الفارغة التي تحصد المزيد من الأرواح وتريق الدماء تلو الدماء.

إنّ ثنائية الأنا والآخر إذا عولجت من منظور حوار الحضارات فإنّها لن تؤدّي بالضرورة إلى صدام، لأنّ الحوار إذا أقيم على أسس احترام متبادل، من شأنه السير بالإنسانية إلى مزيد من السلام، سلام لا تستطيع الأديان وحدها تحقيقه ولكنها تستطيع أن تساهم في تخفيف البغضاء والكراهية والتشدد<sup>1</sup> وهي إن نجحت في ذلك رسّخت وبصورة قطيعة حوار الحضارات والحدّ من الحروب والفتن والصدامات.

### - حوار الحضارات وعلاقة الأنا بالآخر في رواية (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك):

أثيرة هي إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر لدى عديد الروائيين العرب، وفي الكثير من النصوص الروائية العربية، ولعلّ ذلك يُعزى بالأساس إلى طبيعة علاقة المجتمعات العربية بالآخر، والحق إن قارئ الرواية العربية يستنتج أنّ هذه الأخيرة ما كاد بناؤها الفني يستوي حتى شغلته العلاقة بالآخر الأوربي الذي ظل لعقود فرنسيا وإنكليزيا، منذ (عصفور) توفيق حكيم، و(قنديل) يحيى حقي، ثم تعدّد هذا الآخر، وتعدّدت العلاقة معه، وكان من ذلك الانتقال بها من موطنه إلى مواطن الذات أو النحن، وهكذا ظهر في هذا الشطر من الرواية العربية - والذي سمي بالرواية الحضارية - الآخر السويسري على يد عبد الحكيم قاسم وسليم مطر كامل، وجميل عطية إبراهيم، وبهاء طاهر، والصيني على يد حنا مينة والإيطالي على يد عمارة لخص وصلاح الدين بوجاه والمجري على يد محمد أسعد علي، وحنا مينة أيضا.. وصولا إلى أمريكا فيما كتب حلیم بركات...<sup>2</sup> بالإضافة إلى عشرات النماذج.

لا نحتاج بعد الذي سبق تأكيد حضور ثنائية الأنا والآخر وقضية حوار الحضارات والثقافات قبولا أو رفضا في المنجز الروائي الجزائري، لأنّ أي قارئ متخصص باستطاعته تأكيد ذلك حيث ظلّ الآخر حاضرا في المتن الروائي الجزائري

1 هانس كينغ، لا سلام عالمي دون سلام ديني، ص119.

2 نبيل سليمان، أسرار التخييل الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق، دط، 2005، ص216.

منذ ما قبل الاستقلال إلى غاية يومنا هذا كيفما كان الحرف الذي كتبت به النصوص، لقد عالج محمد ديب وكتاب ياسين ومولود فرعون، والطاهر وطار ومحمد عرعار العالي والحبيب السايح وأمين الزاوي وواسيني الأعرج وأحلام مستغانمي وإبراهيم سعدي وعمر البرناوي وعشرات الكتاب الآخرين هذه القضية بطرائق متعدّدة. ونحن ومن خلال هذه الورقة البحثية نروم الاشتغال على نص (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) للكاتب عمارة لخص الذي صدر له باللغة العربية (البق والقرصان) و(القاهرة الصغيرة) وهو أحيانا يعيد كتابة نصوصه باللغة الإيطالية.

### - الروائي "عمارة لخص" ترجمة مختصرة :

الكاتب الروائي (عمارة لخص) جزائري، من مواليد العاصمة سنة 1970، خريج كلية الفلسفة بجامعة الجزائر سنة 1994، وهو إلى ذلك كاتب مغترب حاصل على درجة الماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية سنة 2002 من جامعة روما في إيطاليا حيث يقيم منذ سنة 1995، شرع قبل سنوات في التحضير لأطروحة الدكتوراه بجامعة روما، موضوعها حياة المهاجرين العرب المقيمين بإيطاليا، صدر له النصوص التي ذُكرت سابقا، وينشط عمارة لخص في عدة مجالات مثل الترجمة والصحافة<sup>1</sup>.

### - رواية (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك).. ما يشبه الملخص :

تجري أحداث الرواية في روما، وتدور حول العلاقة بين سكان عمارة، تشهد جريمة قتل. ولأنّ بعض سكان العمارة من المهاجرين فإنّ أصابع الاتهام تُوجّه صوبهم مباشرة، ونورد في الآتي أسماء وصفات شخصيات الرواية من الإيطاليين والمهاجرين بحسب ترتيب ظهورهم في النص :

- (أحمد سالم) (أمديو) وهو جزائري، استطاع بفضل إتقانه اللغة الإيطالية، وحسن معاملته للآخرين كسب محبة الجميع، ونظرا لثقافته واطلاعه الكبير على تاريخ إيطاليا وثقافتها لا أحد صدّق أنّه وراء جريمة قتل الشاب الإيطالي المدعو (لورائزو مانفريدي)، الجريمة التي اتّهم بارتكابها لأنّه اختفى

1 ينظر: عمارة لخص، كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط2، 2006، ظهر الرواية.

عن الأنظار يوم وقوعها، كما أن ساكنة العمارة من الإيطاليين والمهاجرين لم يصدقوا ما أظهرته التحقيقات من كون (أمديو) مهاجرًا وليس إيطاليًا.

- (برويز منصور صمدي) إيراني، طالب لجوء.
  - (ينديتا إسبوزيتو) بوابة العمارة، وهي إيطالية من مدينة نابولي / جنوب إيطاليا، وهي من الشخصيات التي تعادي المهاجرين وتلصق بهم كلّ التهم.
  - (إقبال أمير الله) مهاجر من بنغلاديش.
  - (الزايئا فابيانى) إيطالية معادية للمهاجرين، تُظهر الرواية أنّها قتلت الشاب الإيطالي الذي اتهم (أمديو) بقتله.
  - (ماريا كريستينا غونزاليزا) مهاجرة غير شرعية من البيرو (أمريكا الجنوبية)
  - (أنطونيو ماريني) أستاذ بجامعة روما، وهو إيطالي من الشمال، لا يكره المهاجرين ولكنّه لا يحبهم.
  - (يوهان فان مارتن) هولندي هاجر إلى إيطاليا للدراسة.
  - (ساندرو دنديني) إيطالي، صاحب حانة، وهو متضامن مع الأجانب بصفة عامة.
  - (ستيفانيا مسارو) إيطالية، زوجة (أمديو) وهي متضامنة مع المهاجرين، حتى إنها متطوعة في مدرسة، تدرّس اللغة الإيطالية للمهاجرين.
  - (عبد الله بن قدور) مهاجر جزائري.
  - (ماورو يتاريني) إيطالي، ضابط شرطة.
  - (لورانزو مانفريدي) المدعو (الغلادياتور) إيطالي منبوذ، يعادي المهاجرين، ولأنه كذلك اتهم المهاجرون بقتله.
- تعالج الرواية طبيعة العلاقة بين المهاجرين والإيطاليين، وهي علاقة ترصد الرواية حساسيتها، والرفض الذي يقابل به المهاجر من قبل بعض الإيطاليين حيث إنّ الاعتراف بالثقافات الأجنبية لا يكون مرغوبا دائما للمجتمع، ففي كثير من المجتمعات يتمّ إقصاء الآخر الإنسان...<sup>1</sup> لاعتبارات كثيرة، عرقية ودينية وثقافية وطبقية...

1 ميشيل ريتشاردسون، خيرة الثقافة، ترجمة: خالدة حامد، مجلة نوافذ، العدد: 30، ديسمبر 2004، ص 145.

وفي رواية (كيف ترضع من الذئبة) لعمارة لخص، التي ترسم حياة المهاجرين في إيطاليا تجدر الإشارة إلى أن ساكنة مثل هؤلاء المهاجرين المنحدرين من مجتمع تقليدي، يوجدون أصلا في مواجهة مع متطلبات المجتمع<sup>1</sup> الذي يهاجرون إليه، وينتج عن ذلك، تأرجح العلاقة بينهم وذلك المجتمع بين القبول تارة والرفض أخرى، وهو ما سنحاول تبيانه في الآتي من هذه الورقة البحثية.

## - صدامية العلاقة بين الأنا والآخر في رواية (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) :

يتموضع نص عمارة لخص الموسوم بـ : (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك) ضمن الرواية العربية التي عاجلت العلاقة بين الشرق والغرب<sup>2</sup>، وهي تناقش على وجه الخصوص قضية الهجرة إلى أوروبا وانعكاساتها على السكان الأصليين والمهاجرين على السواء<sup>3</sup>، ويتميز هذا النص الروائي بتقديم صورة جامعة ترسم معيش مهاجرين من إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وحتى من أوروبا، وتدور أحداث الرواية في عمارة في العاصمة الإيطالية روما.

يَشْتَغَلُ الْمُنْجَزُ التَّخْيِيلِي لِلرَّوَايَةِ -عِيْنَةُ الدَّرَاسَةِ- "فَكْرِيَا وَجَمَالِيَا بِنَاء تَفَاعَل حَضَارِي مَتَمَفْصَل إِلَى مَسْتَوِيَيْن، الْمَسْتَوَى الْأَوَّل تَغْدِيهِ جَمَالِيَةِ الْحَوَارِ الْمُؤَسَّس فَكْرِيَا عَلَى الْإِتِّصَال بِاعْتِبَارِهِ نَسْقَا مَعْرِفِيَا وَجَمَالِيَا يَعْمِق الْوَعْي بِالْأَنَا، وَيَقْوِي أَفْقَهَا الْمَعْرِفِي بِالذَّوَاتِ النَّصِيَةِ الْمُنْتَمِيَةِ لِلجَمَاعَةِ الْمُتَفَاعَلَةِ وَالْمُتَوَاصِلَةِ فِيمَا بَيْنَهَا ... وَهَذَا مَا يَسَاهِمُ إِغْنَاء الْكَيْنُونَةِ الذَّاتِيَّةِ وَتَطْوِيرَهَا وَالخُرُوجَ بِهَا مِنْ شَرْنَقَةِ الْهُوِيَةِ الضَّيْقَةِ، وَالْمَسْتَوَى الثَّانِي مَوْطَّرٌ بِجَمَالِيَةِ الصَّرَاحِ حَيْثُ يَتَحَوَّلُ الْحَوَارِ دَلَالِيَا إِلَى أَدَاةٍ تَكْرَّسُ سُلْطَةَ النَّمُودَجِ الَّذِي يَتَجَهَّ صَوْبَ تَرْسِيخِ الْأَحَادِيَةِ وَالْأَنَانِيَةِ وَالسَّيْطَرَةَ وَالغَطْرَسَةَ، .. مَّا يَدْعُمُ التَّقَاتِبَ وَالتَّعَارُضَ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ وَالثَّقَافَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ"<sup>4</sup>، هَذَا الطَّرْحُ تَمَثَّلَهُ نَصِيَا عَلَى

1 دومنيك شنبر، الحدائث والمتناقضات (حالة العمال المهاجرين)، ترجمة : عبد السلام فزازي، مجلة نوافذ، العدد : 20، يونيو 2001، ص124.

2 ابراهيم سعدي، الجنس والهجرة وحللية الذكورة والأنوثة، ضمن : مجموعة من المؤلفين، السرد والحكاية قراءات في الرواية المغربية، تنسيق : شعيب حليفي، منشورات كلية الآداب بنمسك-الدار البيضاء المغرب، ط1، 2010، ص111.

3 فايد محمد، الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر اتجاهاتها وقضاياها الفنية، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة سيدي بلعباس/الجزائر، 2013-2014، ص217.

4 عبد الرحمن التمار، سردية التفاعل الحضاري في رواية من بيكي النوارس لزهرة المنصوري، ص216.

مستوى الرواية شخصيات (البوابة بندتا إسبوزيتو)، و(إلزابتا فاياني)، و(لورانزو مانفريدي)، حيث أبان هؤلاء رفضهم للآخر وكرههم له واحتقارهم لخصوصياته. تعلن البوابة (بندتا إسبوزيتو) رفضها للمهاجرين على مدار صفحات الرواية، وهي أثناء ذلك الرفض لا تُعملُ الاستثناء، فالمهاجر مهما كانت جنسيته ومهما كان دينه يُشكّلُ بالنسبة لها كيانا مزعجا وآخر غير مرغوب فيه، لأنه يترك بلده ويزاحم الإيطاليين في العمل، تقول عن ذلك "ما أكثر الشبان الإيطاليين الذين لا يجدون عملا شريفا، فهم مجبرون على السرقة والكسب غير المشروع. يجب طرد العمال المهاجرين وتعويضهم بأبنائنا المساكين"<sup>1</sup> وهي إذ تدعو إلى طرد العمال المهاجرين من العمل، لا تكتفي بذلك وإنما تصفهم بالمنحرفين وتستعجل السلطات طردهم من إيطاليا كلها، أو الزجّ بهم في السجون أتساءل عن مصير الضرائب التي ندفعتها للدولة أليس حمايتنا من هؤلاء المنحرفين؟ لماذا لا يزجون بإقبال والألباني وبقية المهاجرين المنحرفين في السجون أو يطردونهم من البلد"<sup>2</sup> وهي تؤكد على ذلك أكثر من مرة.

والملفت أن (بندتا إسبوزيتو) ترفض الآخر رفضا مطلقا حتى وإن كانت له انتماءاتها الدينية، فهي لطالما استغزت المسيحية البيروفية (ماريا كرسيتينا غونزاليزا)، تقول هذه الأخيرة مخاطبة (بندتا) "لماذا تسيئين معاملي رغم أننا ننتمي إلى دين واحد وجمعنا حب الصليب ومريم العذراء"<sup>3</sup>، ويزداد الطابع الصدامي لعلاقة (بندتا) بالمهاجرين بعد حادثة مقتل الشاب (لورانزو مانفريدي)، حيث وُجّهت أصابع الاتهام إلى المهاجرين على وجه الخصوص، تقول (بندتا) ممعنة في رفض الآخر واحتقاره: "أنا متأكدة من أن قاتل الشاب لورانزو مانفريدي هو واحد من المهاجرين، ويجب على الحكومة أن تتصرف بسرعة، عما قريب سيطردوننا من بلدنا، يكفي أن تتجول بعد الظهيرة في حديقة ساحة فيتوريو لترى أن الأغلبية الساحقة من الأطفال أجنب من المغرب وروما والصين والهند وبولونيا والسينغال وألبانيا، إن العيش معهم مستحيل، لهم دين وعادات وتقاليد مختلفة عنا، في بلدانهم يسكنون في العراء أو في الخيام،

1 عمارة لخص، كيف ترضع من الثدي دون أن تعضك، ص38.

2 الرواية، ص39.

3 الرواية، ص02.

ويأكلون بأيديهم، ويركبون على الحمير والجمال، ويعاملون النساء كالعبيد. أنا لست عنصرية، لكن هذه هي الحقيقة. ثم لماذا يأتون إلى إيطاليا؟ لا أفهم، البطالة منتشرة بكثرة عندنا... إذا كانت فرص العمل غير متوفرة لأهل البلد، كيف نستطيع استقبال هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين؟ لا تخلو نشرات الأخبار التلفزيونية يوميا من مشاهد سفن المهاجرين غير الشرعيين الذين يحملون الأمراض المعدية كالطاعون والملاريا<sup>1</sup>، ولعل القارئ لاحظ أنّ البوابة ورغم كل ما قالتها، صرحت بأنها ليست عنصرية.

ويتضح العداء للآخر لدى (إلزابتا فابيانى) بصورة أكثر حدة، فهذه الإيطالية تجعل المهاجر في مرتبة أدنى من الكلب، تقول: "تشهد ساحة فيتوريو من حين لآخر مسيرات للمطالبة بحقوق المهاجرين: الحق في العمل، الحق في السكن، الحق في الصحة، الحق في الانتخابات، إلخ، أنا أقول إنه من الواجب أن نبدأ بأهل البلاد الأصليين الذين ولدوا في إيطاليا، والكلاب هم من أبناء هذا البلد. أنا لا أثق في المهاجرين. قرأت مؤخرا في إحدى الصحف أن بستانيا مهاجرا اغتصب سيدة مسنة، أعطته كل شيء بطاقة الإقامة والعمل والسكن، هل هذا جزاء الإحسان؟ هل سمعتم في حياتكم عن كلب اغتصب سيده؟"<sup>2</sup>، ولأنها متأكدة من صحة الصورة النمطية التي يرسمها الإعلام الغربي عن المهاجرين تضيف مؤكدة عداءها للمهاجرين واحتقارهم "الحقيقة أننا لسنا بحاجة إلى المهاجرين... نستطيع الاستغناء عن المهاجرين بسهولة، يكفي أن ندرب كلابنا تدريبا جيدا..."<sup>3</sup>، فالكلاب من منظورها أرقى من الآخر (المهاجر).

إنّ "الجهل بالآخر أبرز أسباب رفضه"<sup>4</sup>، لأجل ذلك يستمرّ تمظهر صدام الأنا والآخر، بين الذوات النصية في رواية عمارة لخصوص، فهذا الشاب (لورانزو مانفريدي) قبل مقتله يخاطب الإيراني (بارويز) قائلا: "أنت في بيتي، لا حقّ لك في الكلام. هل فهمت أيها الأجنبي الحقيّر؟.. ثم أخذ يصرخ في وجهي إيطاليا

1 الرواية، ص 40/41.

2 الرواية، ص 64.

3 الرواية، ص 65.

4 ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 23.

للإيطاليين ! إيطاليا للإيطاليين ! إيطاليا للإيطاليين"<sup>1</sup>، هذه العنصرية ستجعل الذوات الممثلة للأنا في النص ترفض وضعها، فهذا (عبد الله بن قدور) المهاجر الجزائري، يعلن تمسكه بانتمائه دينا واسما ولغة: "لن أغير جلدي ولا ديني ولا لغتي ولا بلدي ولا اسمي مهما حدث. أنا فخور بنفسي، ليس مثل المهاجرين الذين يغيرون أسماءهم حتى ينالوا رضى الإيطاليين"<sup>2</sup>، خاصة وأنهم ينفرون من كل الذين لا يشبهونهم في اللغة والعادات...

ولأن الآخر الغربي ورغم كونه مهاجرا أيضا يشعر بأفضليته فإنه لا يُصدّق أن يكون مهاجر عربي مثل (أحمد سالم) أمديو مُلمًا باللغة الإيطالية وبالتاريخ والثقافة، فالطالب الهولندي (يوهان فان مارتن) لا يكاد يصدق أن أمديو أجني أمديو أجني ! هل يعقل أن يكون الشخص الذي يمثل إيطاليا العظيمة أجنبيًا؟ إنه الوحيد الذي يجيب عن كل أسئلتني المتعلقة باللغة الإيطالية والسياسية والمافيا والطبخ والسينما..."<sup>3</sup>، لأن الرواية قدمت (أمديو) على أنه صديق للجميع للإيطاليين والمهاجرين، وبأنه عارف بإيطاليا لغة وثقافة وتاريخًا، لا أحد صدّق اتهامه بقتل (الغلادياتور) ولا أحد صدّق أنه مهاجر.

### - حوارية التفاعل بين الأنا والآخر في الرواية :

يتأسس المعطى التخيلي في نص (كيف ترضع الذئبة دون أن تعضك) "على أفق فني وجمالي، يتمثل في قضية الشخصيات، لأن الرواية ترصد مسارا مشتركا لعدة شخصيات، قوامه التفاعل والحوار رغم الاختلافات التي تميّزهم عرقيا ودينيا وثقافيا وانتماء حضاريا وجغرافيا، وهي اختلافات غدت الانفصال، لكنّها خلقت الاتصال وكرّسته ومنحته سمة خاصة ونوعية"<sup>4</sup>، عندما جمعت على الركح النصي الإيطالي والإيراني والبنغالي والهولندي والبيروفي والإفريقي، في فسيفساء رغم صدامية جلّ محطاتها، رسمت فضاء للتواصل البناء جسده شخص (أمديو) الذي تمكّن من

1 الرواية، ص22.

2 الرواية، ص130.

3 الرواية، ص98.

4 عبد الرحمن التمار، سردية التفاعل الحضاري في رواية من بيكي النورس لزهرة المنصوري، ص210.

الحصول على المحبة والاحترام من الجميع حتى لحظة اتهامه بمقتل الشاب (لورانزو مانفريدي).

يُعلن المهاجرون في الرواية أنهم لا يعادون الإيطاليين، يقول الإيراني (بارويز منصور صمدي) في بداية الرواية "فلتكن الأمور واضحة من البداية أنا لا أكن أي عداة للإيطاليين"<sup>1</sup>، ويضيف إلى كلامه (إقبال أمير الله) البنغالي، طرحا تُجسّده حوارية العلاقة مع الآخر وتفاعل الثقافات والأديان "ما أجمل أن ترى المسيحي والمسلم كأخوين لا فرق بين عيسى ومحمد، ولا فرق بين المسيحية والإسلام، ولا فرق بين الإنجيل والقرآن"<sup>2</sup> فالمشترك بين الجميع هو الانتماء إلى الإنسانية.

هكذا تُقدّم الرواية "حياة التفاعل النوعي لمجموعة من الشخصيات التي ساقته ظروف العمل والدراسة والهجرة ... فوجدت نفسها منخرطة في رباط صداقة نوعي ومثير لأنه رغم اختلاف لغات وديانات وجنسيات الشخصيات المشكّلة له"<sup>3</sup>، أصبح نموذجا لصدام الحضارات ولتفاعلها.

لم تُقدّم الرواية الإيطالي بوصفه معاديا للمهاجرين في كلّ الحالات، فشخصيات (ستيفانيا مسارو) زوجة أمديو، و(ساندرو دنديني) صاحب الحانة، بدت متضامنة مع الآخر المهاجر، فعمل (ستيفانيا) في الوكالة السياحية لم يمنعها أبداً من تكريس بعض الساعات في الأسبوع للتطوع كمدرسة للغة الإيطالية للمهاجرين"<sup>4</sup>، وصاحب الحانة يقولها علنا: أنا لا أحقد على الأجانب: ألم يكن لاعب نادي روما الكبير فالكاو أجنيبا! لك يكن سيريزو وفولر وليند هولم وإيركسون وهاسلر أجانب؟ هؤلاء الأجانب صنعوا مجد نادي روما ويستحقون التبرجيل والتقدير والاحترام"<sup>5</sup>، وهذا أمر غير معترف به لدى (بندتا) كما أوضحنا سابقا.

غير أن حوارية العلاقة بين الأنا والآخر تُجابه أحيانا بإكراهات التحول التاريخي حيث تبرز مكونات الاختلاف والتعاطي أكثر [فتتحول] الكيانات الذاتية إلى

1 الرواية، ص10.

2 الرواية، ص50.

3 عبد الرحمن التمار، المرجع السابق، ص201.

4 الرواية، ص117.

5 الرواية، ص110.

موضوع للاتهام والمضايقة أو التفاخر والمباهاة<sup>1</sup>، ما دفع بأحمد ساملي (أمديو) المهاجر، إلى مخاطبة أطباء العالم "يا أطباء العالم اتحدوا اخترعوا دواءً جديداً يشفي العنصرين من الحقد والكرهية"<sup>2</sup>، ثم تجاوز هذه الدعوة فراح يُذكر الإيطاليين بمعاناتهم سابقاً في الولايات المتحدة الأمريكية: "أنتبه إلى مسألة إلصاق ظاهرة الإجرام بالمهاجرين بلا تمييز، كم عانى المهاجرون الإيطاليون في الولايات المتحدة من تهمة المافيا، لكن يبدو أن الإيطاليين لم يتعلموا من دروس الماضي"<sup>3</sup>، النتيجة جلية للمهاجر وجه واحد عبر التاريخ رغم اختلاف لسانه ودينه ولونه وجلده<sup>4</sup>، ولكن الحوار الجاد تجاوز الصور النمطية والمعتقدات القبليّة كفيلان بتجاوز النَّفسِ الصدامي في علاقة الأنا بالآخر.

وفي الأخير نقول إنّه باستطاعتنا "حلّ إشكالية الأنا والآخر حين نرتقي بإنسانية الإنسان، فتبني قيما حضارية أنجزتها الأمم جميعاً، مما يؤسّس لمدّ جسور التفاهم بين البشر بعيداً عن الهويات القتاتلة، إذ يحدث الانفتاح على العالم الخارجي حيث يمكن أن نلتقي الآخر، مثلما يحدث الانفتاح على العالم الداخلي للأنا، بفضل قيم إنسانية خالدة مثل الحب والخير والعدالة"<sup>5</sup>، وتجنّب الأحكام المسبقة مع الوعي بالمصير المشترك لساكنة المعمورة عبر مختلف مراحل التاريخ.

إنّ رواية (كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك)، نص استطاع صاحبه بحق مناقشة إشكالية الأنا والآخر، من خلال استدعاء تركيبة متنوعة من الشخصيات ساعدت في خلق تفاعل حضاري قوي اتخذ ملمحين اثنين الأوّل قوامه الحوار المغذّي للاتصال، والثاني أساسه الحوار المكرّس للانفصال<sup>6</sup> على اعتبار أنّ الوصول إلى التفاعل الحضاري الإيجابي وعلى مرّ التاريخ الإنساني غالباً ما مرّ عبر جسر من الصدام والتواصل على السواء، على أمل أن تكون الغلبة للصوت الخيّر في النفس البشرية في نهاية المطاف.

1 الرواية، ص59.

2 الرواية، ص 59.

3 الرواية، ص59.

4 الرواية، ص81، 82.

5 ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص23.

6 عبد الرحمن التمار، سردية التفاعل الحضاري، ص211.